هوامش

بدأت عمليات شق طرق جديدة في المناطق الصحراوية الملاصقة للمناطق الأثرية في الجيزة، والتي قد تتسبب في أضرار بالغة لأحد أهم مواقع التراث في العالم

يمر الطريق الأول (الشمالي) عبر الصحراء على بعد 2500 متر من هضبة اهرامات الجيزة (Getty)

الأهرامات المصرية
طريقان سريعان يشقّان الهضبة

القاهرة ـ **العربي الجديد**

بدأت الحكومة المصرية في إجراءات شق طريقين سريعين عبر هضبة الأهرامات التاريخية قرب العاصمة القاهرة، بدعوى تسهيل الحركة المرورية في المنطقة. وجاء هذا المشروع بناءً على تكليفات من الرئيس عبد الفتاح السيسي للهيئة الهندسية للقوات المسلحة، لإحياء مشروع بقي معلقاً منذ تسعينيات القرن الماضي، على إثر حملة احتجاجات دولية قادتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو).

ويمر الطريق الأول (الشمالي) عبر الصحراء على بعد 2500 متر من هضبة أهرامات الجيزة، بينما يمر الطريق الثاني (الجنوبي) بين هرم سقارة المدرج - أحد أقدم أهرامات منطقة سقارة - ومنطقة دهشور التاريخية، التي تضم هرم سنفرو المائل، والهرم الأحمر، ويتسع كل من الطريقين لنحو ثماني حارات مرورية في الاتجاهين، وذلك بحجة تمهيد حركة الوصول للمناطق العمرانية الجديدة. والطريق الجنوبي هو جزء من الطريق الدائري الثاني للقاهرة، الذي سيربط مدينة السادس من أكتوبر بالعاصمة الإدارية الجديدة، عبر عمق 16 كيلومتراً من الصحراء مروراً بهضبة الأهرامات، والأراضي الزراعية، وركن من ممفيس، إذ انتشرت الآلات الثقيلة للشركات المتعاقدة مع الجيش لإزالة الحقول، وبناء التقاطعات على طول الطريقين السريعين، وسط تراكم للمئات من أشجار النخيل التي اقتلعت من جذورها.

ويمر الطريق بمقابر أثرية للأسرة الثالثة عشرة غير المعروفة، على مسافة قريبة من أهرامات بيبي الثاني، وخنجر، ومصطبة فرعون. وأهملت وزارة الآثار المصرية منطقة ممفيس منذ فترة طويلة، باعتبارها موقعاً معقداً للتنقيب، مع العلم أنها منطقة غنية بالآثار، وتكتظ بالمعابد، والمحفوظات الفرعونية.

وتمثل هضبة الأهرامات الوجهة السياحية الأولى في مصر، بوصفها الناجي الوحيد من عجائب الدنيا السبع في العالم القديم، وهي أحد مواقع التراث العالمي المسجلة لدى منظمة اليونسكو، في وقت يصر فيه السيسي على شق الطرق السريعة من دون اعتبار للعوامل التاريخية، وتسخير هذه الطرق لتسهيل حركة المرور من وإلى العاصمة الإدارية الجديدة.

وبعيداً عن الأنظار، بدأت عمليات شق الطرق الجديدة في المناطق الصحراوية الملاصقة للمناطق الأثرية في الجيزة، والتي قد تتسبب في أضرار بالغة لأحد أهم مواقع التراث في العالم، وذلك بعد أقل من شهرين من عمليات هدم منطقة «جبانة المماليك» الممتدة على طريق صلاح سالم، بما فيها من مقابر تاريخية وآثار إسلامية تعود لنحو 5 قرون، لشق طريق جديد تحت اسم «محور الفردوس».

ووفقاً لأثريين مختصين، فإن الطرق السريعة في مناطق الجيزة ستؤثر سلباً على سلامة هضبة الأهرامات، وتمهيد المواقع الأثرية غير المستكشفة حتى الآن، فضلاً عن توليد التلوث الناتج عن عوادم السيارات، والذي من الممكن أن يؤدي إلى تآكل الآثار، وينتج القمامة، وصولاً إلى إغلاق مناطق مليئة بالكنوز الأثرية المخفية للنهب.

ونقلت وكالة «رويترز» عن المسؤول السابق في منظمة اليونسكو، سعيد ذو الفقار، قوله: «لقد ذهلت مما رأيته عند زيارتي الطريق السريع الجنوبي، فكل العمل الذي قمت به منذ ما يقرب من 25 عاماً أصبح الآن موضع تساؤل!». وقاد ذو الفقار حملة ناجحة في منتصف التسعينيات لتعليق بناء الطريق السريع الشمالي، وهو فرع من أول طريق دائري في العاصمة المصرية.

من جهتها، قالت منظمة اليونسكو إنها «طلبت معلومات مفصلة عن الخطة الجديدة مرات عدة، وطلبت إرسال بعثة مراقبة، وهو ما لم ترد عليه الحكومة المصرية حتى الآن». فيما قال عالم المصريات البريطاني، ديفيد جيفريز، الذي كان يعمل في منطقة ممفيس التاريخية، إن الطريق الجديد يقترب من المناطق التجارية في المدينة القديمة، وأسوار الميناء، والموقع السابق لمقياس النيل القديم، والذي يستخدم لقياس ارتفاع الفيضان السنوي، بحسب «رويترز».

وفي يونيو/ حزيران 2018، كشفت شركة «بريزم إنترناشيونال» الإماراتية عن منحها حق إدارة منطقة الأهرامات بالكامل لمدة 20 عاماً، غير أن الحكومة المصرية خرجت لتنفي تلك المعلومات أمام الغضب الشعبي، الذي ثار حول توسع النفوذ الإماراتي في عهد السيسي، ليشمل السيطرة على تاريخ وحضارة مصر.

باختصار

يمر الطريق بمقابر أثرية للأسرة الثالثة عشرة غير المعروفة، على مسافة قريبة من أهرامات بيبي الثاني، وخنجر، ومصطبة فرعون.

■■■

أهملت وزارة الآثار المصرية منطقة ممفيس منذ فترة طويلة، باعتبارها موقعاً معقداً للتنقيب، مع العلم أنها منطقة غنية بالآثار.

■■■

تمثل هضبة الأهرامات الوجهة السياحية الأولى في مصر، بوصفها الناجي الوحيد من عجائب الدنيا السبع في العالم القديم.

وأخيراً

إبراهيم سرحان في شاتيلا

معن البياري

ما حاجة الإسرائيليين إلى أن يدخلوا مخيم شاتيلا، بعد أن غادر المقاتلون الفلسطينيون لبنان؟ لماذا يطلقون القنابل المضيئة؟ ما الذي يحدث؟ .. هذه بعض أسئلة طافت في بال إبراهيم سرحان، في غرفته وحيدا في المخيم، وهو يسمع أصوات رصاص وقنابل، «ويرى حركةً ضاجّة في الظلام». كان يسمع أغنيةً لمحمد عبد الوهاب من الراديو، ويحاول أن يتذكّر إن كانت من فيلم «يوم سعيد»، ثم يحسم إنها من «دموع الحب»، فيذهب، من لحظته هذه إلى يوم حضوره الفيلم في سينما الحمراء في يافا، ربما في العام 1937، لمّا حضر عبد الوهاب نفسه، وغنى. يدندن إبراهيم كلمات الأغنية، ويسكب فنجان قهوة، ويشعل سيجارة من عقب الأولى. تنقطع الكهرباء، يشعل مصباح الغاز المعدّ سلفا. ومن بعيد، يتناهى إلى سمعه صوت محركاتٍ تتوقف، تتبعها جلبة. يسحب صورةً بالأسود والأبيض، مضى عليها أربعة وأربعون عاما. شرائط من ذاكرته تتواتر إلى باله. يلتقط أمتارا مقصوصة من أشرطة سينمائية، ويبدأ النظر إلى لقطاتها المتتابعة، مستعينا بعدسة مكبّرة وضوء المصباح. يندلع رصاص من مكان قريب، يلقي شريط الفيلم جانبا، وينهض إلى النافذة ليستطلع الأمر. تتفجر قنابل مضيئة في سماء المخيم، تحيل ليله إلى نهار. تزدحم الأسئلة في رأسه، وهو يتأمل حركة محمومة في الأزقة، وفي الأثناء، أصوات الرصاص تصل إليه من كل الجهات. .. ثم ينكسر باب الغرفة، وينتصب شبحان أسودان لمسلحيْن. لا يجد إبراهيم سرحان تفسيرا لما يرى، ويكتفي بنظرة ذهول وتساؤل إلى شعار شجرة الأرز على قبعة أحدهما. يدخلان الغرفة، وكان عبد الوهاب قد وصل إلى المقطع الأخير من الأغنية. يركل أحدهما الراديو فيسقط على الأرض، لكن عبد الوهاب يبقى يغني، ثم برصاصة على الراديو، يسكت.

هل حدث هذا في غرفة مصوّر السينما الفلسطيني الرائد، إبراهيم سرحان، في مخيم شاتيلا، ليلة المذبحة في سبتمبر/ أيلول 1982؟ لا. لكن سرحان كان هناك، وكانت المذبحة. أما المشهد المشخّص أعلاه، فهو إيجازٌ لأولى صفحات رواية «موفيولا» (دار فضاءات، عمّان، 2013)، تخيّله كاتبها، تيسير خلف، بتفاصيل أكثر حرارة، واستهلّ بها روايته التي تقاطع فيها الموثّق بالمتوهم، الحقيقي بالمتخيّل، وتناوبت فيها أزمنة الحكي والسرد والقص، ودارت بين أكثر من راهن وأكثر من حاضر، وتنوّعت فيها الأمكنة. شاغلها الأساس فلسطين، في واحد من مقاطع تغريبتها، غير ذائع. ولأن الأدعى هو قراءة هذه الرواية التي أضافت، عن حقّ، تنويعا طيبا في المدوّنة الروائية الفلسطينية، فإن هذه السطور ليست معنيةً بإيجاز لها، وقد استحقت قراءات نقدية مقدّرة التفتت إلى موضوعتها، والأهم إلى «لعبة» السرد فيها.

إبراهيم سرحان واحدٌ من ثلاثة أبطال مركزيين في الرواية، الأمر الذي يعني جواز أن يعدّ المفتي الحاج أمين الحسيني أحدهم، الأول هو السينمائي الفلسطيني، محمد صالح الكيالي، والذي تعلم السينما في إيطاليا، والتقى فيها المفتي هناك، بل وصوّر لقاءه مع موسوليني. لا بأس من أن يكون انقضاء 38 عاما، أول من أمس، على مذبحة صبرا وشاتيلا، مناسبة هذه الالتفاتة إلى رواية تيسير

> تحية إلى اسم إبراهيم سرحان، سينمائياً في فلسطين، ثم وحيداً في غرفته يوم المذبحة في مخيم شاتيلا

التي صاغت مشهديات وحكايات من يافا والقدس وبيروت وباريس وإسطنبول وميلانو وروما وبرلين والقاهرة وطرابلس الغرب، وأيضا من مخيم شاتيلا. منذ 1925 إلى العام الذي مات فيه إبراهيم سرحان في 1987. ومشهد تابوت هذا السينمائي الفلسطيني في المخيم إلى مثواه آخر مقاطع الرواية التي كانت قد استهلت صفحاتها بذلك المشهد لمّا صارت المذبحة. «موفيولا» واحدة من روايات الخسران الفلسطيني، ومنه فقدان فلسطينيين طموحين، نابغين، موهوبين، أحلامهم، لمّا لاحقهم الإحباط والنكران والخيبة. وإبراهيم سرحان ينتهي سمكريا في مخيم شاتيلا، لا يستطيب أن يحدّثه أحد عن السينما، وهو مصور أول فيلم فلسطيني متحرّك، من 20 دقيقة، في تصويره في يافا، العام 1937، لزيارة الأمير سعود بن العزيز فلسطين. صنع أفلاما أخرى، وكان له استديو في يافا. وإذا قرأتَ عنه أكثر، ستعرف أنه مصوّر أول فيلم سينمائي روائي أردني، «صراع في جرش»، العام 1957. .. ثم هناك، في يوم ممطر في مخيم شاتيلا، يموت «السمكري» إبراهيم سرحان، بعد خمسة أعوام من المذبحة، أربعة فقط يمشون في جنازته، ابنه وزوجته وزوجة ابنه منهم. .. شكرا تيسير على ما كتبتَ، على تحيّتك إلى اسم إبراهيم سرحان، سينمائيا في فلسطين، ثم وحيدا في غرفته يوم المذبحة في مخيم شاتيلا.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**